مراجعة كتاب: عالم النفط (تاريخياً-جيولوجياً-اقتصادياً)[1]

مراجعة وتحليل: أ. م سهاد احمد رشيد

كلية الادارة والاقتصاد/ قسم الاقتصاد

جامعة البصرة

مقدمة

الذهب الأسود أو الزيت الخام، وهو مادة سائلة لزجة، ذات كثافة، تتراوح درجات لونها ما بين الأسود المائل للاخضرار، وتُعد مادةً قابلة للاشتعال، يتمّ استخلاص النفط من الطبقات العليا من القشرة الأرضية بطرقٍ خاصّة بذلك، وتتفاوت أنواع النفط وفقاً لمكان استخلاصه واستخراجه فيظهر الاختلاف بشكل كبير في تركيبته، ومظهره.

وتعود أصول النفط إلى أنّها بقايا كائنات حيّة تعرضّت للضغط والحرارة العاليتين لمدّة زمنية تَجاوزت ملايين السنين، وتبدأ هذه الكائنات الحية بالتحلّل، ويُشار إلى أنّ الغاز الطبيعي والنفط يتمّ إنتاجهما بنفس الطريقة؛ حيث يتواجد الغاز إلى جانب مادة الزيت الخام، ويمكن بيان أهمية النفط بانه يساعد على رفع المستوى الاقتصادي العالمي وينمي الاقتصاد الوطني، و يعد ايضاً النفط مصدراً نظيفاً للطاقة، كما يدخل النفط في عدة استخدامات كالنقل والمواصلات وغيرها، و يدخل في الصناعات البتروكيماوية، ويكتسب أهميّته هذه من سهولة النقل والتخزين التي يمتاز بها.

يتكون هذا الكتاب من 347 صفحة بما فيها المقدمة والفهرست والمصادر وقد استخدم المؤلف (62) مصدراً عربياً و(9) مصدراً انكليزياً، ويحتوي الكتاب من سبعة عشراً فصلاً.

[1] تأليف: أ. د نبيل جعفر المرسومي، الغدير للطباعة والنشر المحدودة، البصرة، العراق، الطبعة الاولى 2023

ويمكن تقسيم هذه الفصول الى ثلاثة اجزاء ليكي نتمكن من تحليلها بسهولة. فالجزء الاول يشمل من الفصل الاول الى الفصل الخامس، ففي الفصل الاول كتب المؤلف عن مرحلة الاستكشاف للنفط، والفصل الثاني وضح اقتصاديات الصناعة النفطية بكل تفاصيلها من البحث والتنقيب الى مرحلة التسويق والتوزيع.

اما الفصل الثالث فقد تطرق الى موضوع عرض النفط ببيان الاحتياطي النفطي ومناطق الانتاج الرئيسة في العالم مع التطور التاريخي لعرض النفط، وتناول الفصل الرابع الطلب على النفط بذكر العوامل المحددة للاستهلاك النفط والطلب العالمي على النفط الخام، ولا يمكن للمؤلف ان يترك الكلام عن اسواق النفط العالمية، وهذا كان عنوانه للفصل الخامس مبيناً طبيعة السوق العالمية النفطية مع معرفة انواع اسواق النفط.

والتقسيم الثاني للفصول هو الجزء الثاني، الذي يشمل الفصل السادس الى الفصل العاشر، وقد وضح المؤلف اسعار النفط في الفصل السادس بكل تفاصيلها من مراحل تطورها الى العوامل المؤثرة فيها، وكان الفصل السابع من الفصول الجداً مهمة وهو يتحدث عن مفهوم وتاريخ الصدمات النفطية في العالم من عام 1972 كانت الصدمة الاولى الى 2020 الصدمة السادسة، واما عن انماط ومناخ الاستثمار النفطي فقد كان ضمن الفصل الثامن، والفصل التاسع والعاشر وضحا هذان الفصلين اهم صناعتين وهما صناعة تكرير النفط والصناعة البتروكيماوية من ناحية المفهوم والتطور التاريخي والخصائص والسوق العالمية لهما.

ويمكن توضيح او استعراض الفصول من الفصل الحادي عشر الى الفصل السابع عشر وهو الفصل الاخير في الكتاب، ضمن القسم الثالث، ففي الفصل الحادي عشر كان الموضوع عن منظمات الطاقة العالمية بأجمعها، والفصل الثاني عشر تناول الريع النفطي والدولة الريعية، اما الفصل الثالث عشر قد سلط الضوء على التكامل والاندماج في الصناعات النفطية. وكان الفصل الرابع عشر مميزاً بموضوعه تحت عنوان" المرض الهولندي"، موضحاً اسبابه ومفهومه واثاره الاقتصادية. اما موضوع النفط والغاز الصخري كان ضمن الفصل الخامس عشر. ولتوضيح مواضيع الغاز الطبيعي والفحم واطاقة النووية فهذه كانت ضمن عنوان الفصل السادس عشر "مصادر الطاقة الناضبة" واخيراً كان الفصل السابع عشر والذي تحدث عن موضوع مهم جداً في وقتنا الحاضر الا وهو "مصادر الطاقة المتجددة" فقد ذكر كل انواعها مع بيان الامكانية لحلالها من عدمه مكان النفط.

وعند مراجعة محتويات الكتاب والتي ذكرناها اعلاه نوجز اهم مميزاته التي تميزه عن غيره:-

1- لقد تناول المؤلف مواضيع الكتاب بطريقة متسلسلة أي في بداية الكتاب بعد المقدمة إبتداءاً بتعريف النفط وبيان كثافته النوعية التي تختلف من حقل لاخر مع توضيح لجزيئات التي يتكون منها النفط الخام، مع ذكر انواعه التي تقسم حسب قاعدته.

2- إن من المواضيع المهمة والمطلوبة في بداية الكتاب ايضاً كانت التاريخ، فقد وضح المؤلف تاريخ النفط منذ ظهوره قبل 3 مليارات سنة تحت الارض والى وقتنا الحاضر، وكان العراقيون قد عرفوا النفط منذ اقدم العصور واستخدامه في كافة مجالات الحياة. ولنشأة النفط عدة نظريات لتكوينه منها العضوية وغير العضوية وكذلك المعدنية.

3- وللعثور على النفط واستكشافه يجب دراسة طبقات الصخور تحت سطح الارض وتراكيبها الجيولوجية بحثاً عن النفط في الاحواض الرسوبية والمكامن النفطية المحتملة فيها وكانت اهم مراحل استكشافه هي (المسح الجيولوجي، المسح الجيوفيزيائي، المسح الجيوكيميائي).

4- تم تصنيف النفط الخام بالاعتماد على وزنه النوعي او درجة الكثافة(خفيف او متوسط او ثقيل)، ومحتواه من الكبريت (حلو او حامض)، وهما عاملان يختلفان بأختلاف مواقع استخراجه.

5- إن للعمليات النفطية مخاطر بيئية اشار اليها المؤلف وهي ناتجة عن حفر الابار النفطية سواء الاستكشافية ام الانتاجية اذ تستعمل في اثناء حفر الابار، المياه والاطيان والاحماض والمواد الكيمياوية المختلفة. فهذه المواد يمكن ان تتسرب او تختلط مع عناصر البيئة مسببة لها التلوث.

6- إن من مميزات الصناعة النفطية التي اكد عليها المؤلف هو كبر حجم رؤوس الاموال المستثمرة في هذه الصناعة مع ارتفاع نسبة رأس المال الثابت الى رأس المال المتغير، وارتفاع مستوى التقدم التقني لهذه الصناعة وكذلك انخفاض في مرونة العرض والطلب وتمثل هذه الصناعة الى الاحتكار اكثر من المنافسة وارتفاع نسبة عدم التأكد والمخاطرة مع قوة الروابط الامامية والخلفية للصناعة النفطية. واخيراً طول معدل عمر الحقل النفطي.

7- من بعد مرحلة نقل النفط (برياً وبحرياً)، تأتي مرحلة التكرير وهذه تتأثر بعدة عوامل اهمها، حجم الطلب والعرض ونوع النفط الخام المستخدم وكذلك الموقع الجغرافي للمصفى. وبعد مرحلة التكرير تأتي مرحلة التسويق والتوزيع وهي المرحلة الاخيرة وتمثل حلقة الوصل بين المنتج والمستهلك.

8- إن من مناطق الانتاج الرئيسية للنفط في العالم هي دول الاوبك وايضاً هناك مناطق خارج الاوبك وهي (حقول سيبريا-الاسكا-بحر الشمال-بحر قزوين).

9- لقد صنفت شركات النفط العالمية في هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام وهي شركات النفط العالمية العملاقة وشركات النفط المستقلة والاخيرة شركات النفط الوطنية.

10- كانت اول سوق لتبادل العقود الاجلة في عام 1978 في الولايات المتحدة الامريكية هي سوق نيويورك، اما سوق النفط الدولية فكانت مقرها لندن وبدأت في عام 1981 وهو اكبر اسواق النفط في اوربا، وفي عام 1989 تأسست سوق النقد الدولية بسنغافورة على الرغم انها ليست دولة منتجة للنفط فقد اختيرت بسبب موقعها الجغرافي وامتلاكها ظروف لقيام بورصة دولية ناجحة للنفط.

11- من مراحل تطور اسعار النفط باختيارنا سنوات متفرقه، ففي عام 1948 بلغ سعر البرميل (2. 5)دولار ثم ارتفع للفترة (1974-1978)الى(12. 5 -14) دولار، ثم انخفض الى(10) دولار عام 1986 وبعدها ارتفع الى(23) دولار عام 1990 بعد احتلال العراق للكويت وفي عام 2000 بلغ(25) دولار، وارتفع الى(50) دولار عام 2004 واستمر بالصعود حتى بلغ عام 2007 (90) دولار، وقد نخفض عام 2020 الى(-37، 63) بسبب جائحة كورونا. وهكذا مابين انخفاض وارتفاع ترجع لعدة اسباب ذكرها المؤلف وبصورة تفصيلية.

12- تؤثر الصدمات تأثيراً كبيراً في الاقتصاد منها صدمات معدلات التبادل التجاري وصدمات توريد السلع وصدمات التمون وصدمات نفطية وهي تأثر على اقتصادات النفط المعتمدة بصورة اساسية على تصدير النفط والصدمات نوعين منها صدمة العرض الكلي والاخرى صدمة الطلب الكلي.

13- تطورت صناعة تكرير النفط عام 1981 اذ بلغت الطاقة التكريرية (82) مليون برميل، وانخفضت الى (72. 5) مليون برميل عام 1985، وارتفعت عام 2009 الى (78. 2) و(88. 960) مليون برميل يومياً عام 2012. وبلغت(101. 940) مليون برميل يومياً في عام 2020 في الولايات المتحدة الامريكية وتلها الصين (16. 190). ثم روسيا (60. 670). وبعدها الهند (4. 990) ثم كوريا الجنوبية (2. 9) مليون برميل يومياً.

14- تحتل الصناعة البتروكيمياوية اهمية بالغة في النسيج الصناعي للدول المتقدمة لانها تعتبر محركاً اساسياً للنمو لكونها تتمتع بإنتاجية عالية نسبياً مقارنة مع فروع الصناعات الاخرى.

15- توجد في العالم عدة منظمات للطاقة من اهمها منظمة الاوبك ومنظمة الاوابك ومنتدى الدول المصدرة للغاز وكذلك وكالة الطاقة الدولية وايضاً الوكالة الدولية للطاقة المتحددة.

16- في فترة (1960-1980) بدأت ظاهرة المرض الهولندي في هولندا بعد اكتشاف حقل الغاز الضخم وهو يعني ان النفط بدلاً من ان يؤدي الى تحسين وضع الدول يسبب ظواهر سلبية ومنها تدهور الاقتصاد الوطني والاعتماد على الريع النفطي مع تدهور جهاز الحكم في اغلب الحالات بأتجاه انعدام الديمقراطية.

17- من الاسباب التي ذكرها المؤلف للبحث عن مصادر طاقة جديدة بديلة عن النفط وهي ارتفاع اسعار النفط وتحييد احد مصادر القوه التي يمتلكها العرب والمسلمين. مع القلق من نضوب النفط واخيراً التخلص من المشاكل البيئية التي يسببها النفط ومن اهم هذه المصادر للطاقة البديلة والمتجددة هي 0الطاقة الشمسية- طاقة الرياح-الوقود الاحفوري- الطاقة الكهرومائية- طاقة المد والجزر- طاقة الهيدروجين –طاقة الحرارة).

وختاماً اود الاشارة الى ان هذا المرجع الحديث يمكن ان يخدم العملية التعليمية بما يلي:-

1- يمكن ان يكون مرجعاً اساسياً لاحد الكورسات في دراسة البكالوريوس لقسم الاقتصاد فرع النفط ويمكن استخدامه كمصدر مهم عند كتابة (البحوث –رسائل ماجستير –اطروحة دكتوراه).

2- الكتاب غني من ناحية المفاهيم والبيانات وشامل لكل السنوات منذ اكشاف النفط وليومنا هذا، وهذا التنوع يوفر فرصة كافية لتناول الموضوعات بدرجات متفاوتة من العمق والشمول بما يحقق الاهداف التعليمية المنشودة.